مسرحيّة «ذي قار »
«عمر أبو ريشة»

يا فؤادي ألا تزال كئيباً　　　شاكياً باكياً على غير جدوى

لا تكن ظالماً فإنّك إن مّت*　　　تركتَ الآلامَ من غير مأوى

«عمر أبو ريشة»

الإهداء

إلى رجل العراق الأستاذ حبيب العبيدي

أهدي لروض بيانــكَ الفيّاح برعمَ زهرةِ

فارسل على صغر الـهديّة منكَ أعطفَ نظرةِ

ما كلّف الرحمنُ نفساً فوق وسْعِ القدرةِ

عمر أبو ريشة

الشخصيّات[١]:

كسرى أنو شروان ملك العجم

الطُميح قائد كسرى

دِعْبِل نديم كسرى

جسّاس شاعر كسرى [٢]

حسّان شاعر كسرى

أخيل وزير كسرى [٣]

يوسف وزير كسرى

حاشية

الحارث مطرب كسرى

وداد راقصة في إيوان كسرى

النٌعمان ملك الحيرة

عصام ابن الطُميح حاجب عند النعمان

---

(١) في الأصل : الممثلون .
(٢) في الأصل : شعراء كسرى .
(٣) في الأصل : وزراء كسرى .

النَّابغة الذّبياني   شاعر النعمان (٤)

قيس   شاعر النعمان

الحَرْقاء   ابنة النعمان

ابن هاني

مسعود

ابن حداجة

المنذر بن الرّيان

---

(٤) في الأصل : شعراء النعمان .

الفصل الأول
المنظر الأول

الغدير

يظهر على المسرح جماعة من العرب يرقصون ما يسمونه «الدبكة» والنّشيد على نغم «يا غزيّل يابو العِبى»

أحدهم :

كلّما الصّبُّ المُعَنَّى   أبصر المحبوبَ أنّا

وإذا ما الليلُ جنّا   أترع الكأسَ وغنّى

الجميع : كلّما الصّبُّ المعنَّى ....

الأوّل :

إنّما الكأسُ دواؤه   وله فيها عزاؤه

كلّما اشتدّ بكاؤه   أفرغ الكأس وغنَّى

الجميع : كلَّما الصّبُّ المعنَّى ...

الأول :

وإذا ما الفجرُ لاحَ   وهزارُ الأيك ناحَ

دون أن يلقَى رداحا   حطّم الكأسَ وغنّى

الجميع : كلَّما الصّبُّ المعنَّى ...

أحدهم : اجلسوا يا صحبُ

آخر : كلاّ

آخر : رقصةٌ

آخر : رقصةٌ أخرى

آخر : نَعَم أُخْرى نريدْ

آخر :

هل نسيتم أن عمراً بيننا

اجلسوا ينشدكمُ خيرَ النشيدْ

آخر : هيّا يا عمرو

عمرو : اجلسوا

الجميع : هيّا اجلسوا

عمرو : إنّ أيّام الصفا ليستْ تعودْ

(عمرو ينشد)

هاكِ يا ورْقُ قصيدي وانشديه . إنّ فيهْ

نغماتٍ وقّعتْها الزفراتْ

عصفَتْ فيها أكفُّ الحسراتْ

فاستحالت نغماتي لأنينِ . واحنيني

حطّمتْ يا ورقُ أوتاري الهمومْ . والكلومْ

فتلاشتْ بين طيّات الأثيرْ

لم يَعُدْ منها سوى النَّزْرِ اليسيرْ

أنشديني آه يا ورقُ انْشديني . أنشديني

أحدهم : آهِ

آخر : قد أسكرتنا

آخر : أنشدْ

آخر : أعِدْ

عمرو : مثلَ ما شئتمْ

آخر : تكرّمْ غنّنا

عمرو : هاكِ يا ورقُ

أحدهم : انظروا. مَنْ قادمٌ

آخر : إنّه المنذر

آخر : ها هوْ قد دنا

عمرو : فلنَسِرْ في طلب الأنس على

أربُع خضر بها كل المنى

حيث نجني من ثمار اللّهو

والصفو أحلاها وأشهاها جنى

(يذهبون ويتأخّر عمرو قليلاً)

(يدخل المنذر)

المنذر : رويدكَ يا عمرو لا تذهبنَّ

فلستُ على الصّفو بالمفسدِ

فإنْ تكُ روحي كعابَ الطّموحِ

فنفسى فتاةُ الصّفا والدَّدِ

وهذا الشّبابُ بهيُّ الرّداء

كغصنٍ سقاه النّدى أملدِ

إذا لم أبلَّ له غُلّةً

قتلتُ شبابيَ شُلَّتْ يدي !

وعنقُ الشّباب وسيفُ المشيبِ

كقلبِ المساءِ ونُبلِ الغَدِ

فنادِ الرّفاقَ فما بيننا

حجابُ الموالي لدى السيّدِ

عمرو منادياً: رفاقي! رفاقي!

الرفاق : ألا ما تريدُ

عمرو : أميرُ البلاد هنا ينتظرْ

الجميع : أميرَ البلادِ عليكَ السلامُ

(يدخلون)

المنذر : عليكم سلامُ السّماء العَطِرْ

أعيدوا بساطَ الرّحيق العتيقَ

وفُضّوا الفِدام وهزّوا الوَتَرْ

ويا عمرو رجّعْ صدى السّاجعاتِ

وهاتِ القصيدَ بديعَ الصُّوَرْ

يميل بيَ اللّحنُ ميلَ الزهورِ

وقد قبّلتها شفاهُ السَّحَرْ

فَنفِّس بريِّكَ عنّي الهمومَ

عمرو : أمرتَ ومثلِيَ مَنْ يؤتَمَرْ

(عمرو ينشد)

خفّفي الوْطءَ يا همومُ فإنّي

ما وطئتُ العشرينَ إلاّ قريباً

أنتِ أضنيتِني بميعةِ عُمري

أنتِ عَلّمتِني البُكا والنّحيبا

اصبني كاسَكِ الدّهاقَ وأبقي

بفؤادي من راحتيكِ دبيبا

لا تُميتيه في هواه غريباً

يا (لليلى) إنْ قيل ماتَ غريباً

والعذابُ العذابُ موتُ محبٍّ

لم يجدْ حوله الحبيبَ الحبيبا

(المنذر يتكئ بألمٍ)

أحدهم : ما للأمير قد اتكا وغفا

آخر : تُرى ما بالُهُ

آخر : تَعِبَ الفؤادِ إخالهُ

آخر : إنّي كذاكَ إخالهُ

آخر : أو ما لمستَ الحزنَ فيهِ

آخر : وكيف حالت حالُهُ

آخر : إنّي أظنّ فؤادَهُ في الحبِّ بانَ عقالُهُ

عمرو :

لا تُغرقوا في الظّنّ   فيه حرامُهُ وحلالُهُ

لم يَدْرِ ما بأميرنا   إلاَّهُ جلَّ جلالُهُ

آخر : لا تُقلقوا أميرَنا في رقدتِهْ

بل اتركوه نائماً في وحدتِهْ

المنذر : يا غراماً بين أحشائي نما

(يفتح عينيه كمن يفيق من حلم)

ورماني في بحور التَعَسِ

أترى تهجر قلباً مُكْلَما

يتلظَّى في سعيرِ النَّفَسِ

ويحَ قلبي من تباريحِ الهوى

يا ابنةَ النّعمان إنْ طال الصّدودْ

ما له في الحبِّ من ذنبٍ سوى

أنَّه جاوزَ في الحبِّ الحدودْ

قد رماهُ الدّهرُ في حَرِّ الجوى

رميةَ الدّينار في كفِّ اليهودْ

يسهر اللّيلَ يناجي الأَنجما

ويُقيد الشّعرَ طيَّ الغَلَسِ

فيرى طيفَك يا ظبيَ الحِمَى

يتلالا قبساً في قبسِ

يا ابنةَ النُّعمان هذي كَبدي

من جراحاتِ الهوى كادت تسيلْ

مَنْ مجيري في الهوى مَنْ مُسعدي

وطبيبي باعثُ الدّاءِ الدخيلْ

خَفّفي حَرقاءُ عنّي أنجدي

قبل أن تأذن شمسي بالرّحيلْ

وانظري سيلَ دموعي عَنْ دِما

ما له في السّيل من منحَبَسِ

واذكري بالله يوماً في السّما

نلتقي فيه بروحِ القُدُسِ

(يتّخذ زاوية من المسرح وينشد)

المنذر : أيُّها الموتُ اقتربْ واشفقْ عليّ . يا أُخَيّ

وانبتي يا أرضُ مِنْ بعد مماتي

كلَّ نبتٍ عاطرٍ فوقَ رُفاتي

علَّه يقتاد مَنْ كنت أودّ– فاستبد

فإذا مدَّتْ إليه راحتينِ . بضّتينِ

وجَنَتْ ما راقها من زَهَراتِ

وغدتْ تنشِق مسك النفحاتِ

عادت الروحُ وصاحتْ بالرفاةِ . للحياةِ

(تدخل مريم وهند وعلى رأسيهما جَرّتان فتنزلان الجرّتين وتتحادثان)

مريم : هندُ ما هذا الذي أسمعه أنشيدٌ أم أنينٌ أم بكاءْ

ومَنِ الجاثي هناكَ ؟

هند : استمعي إنّه يبكي كما تبكي النّساءْ

إنّه المنذرُ

مريم : ماذا شأنه

هند : مُغْرَمٌ أعياه في الحبِّ الدّواءْ

يَعشق الحرقاءَ

مريم : مَنْ أنباك يا هندُ ؟

هند : هل تخفى عن العين السماءْ

إنّه يُنشدها في شِعره

ويَرى في ذكرها بعضَ العزاء

مريم : أصدقيني القول يا هندُ أَلم

يرتقص قلبُكِ في حاء وباءْ ؟

هند : مَنْ أيا مريمُ في الدنيا له

مهجةٌ من جوهرِ الحبِّ بَراءْ

مريم : أنت يا هندُ على حبٍّ إذن ؟

هند : آهِ يا مريمُ قد بان الخفاءْ

ربَّ ليلٍ باتَ يَشكوني الهوى

ودموعُ العين تهمي في سخاءْ

يمسح الدّمعَ بكفّيه وما

دمعُهُ إلاّ سروراً باللّقاءْ

كم غفا فوق ذراعي حالماً

في أماني الحبّ في مُلْكِ السماءْ

لم يقم إلاّ وجلبابُ الدّجَى

رَقَّ حتى كاد يمحوه الضّياءْ

آه يا مريمُ ما أحلاه من

زمنٍ قد كان يَنْبوعَ الهناءْ

فانقضى يا ليته لمّا انقضى

سارَ بي يحدو إلى دارِ الفناءْ

مريم : لِمَ هذا القولُ يا هندُ

هند : ألا لا تُثيري ذكرياتِ البؤساءْ

إنَّ مَنْ أهواه . ويلي بعده .

طعنتْ أحشاه أسيافُ القضاءْ

فَخَلتْ عشرُ سنينٍ وأنا

لم أزلِ أرعى ودادي والوفاءْ

كلّما حاولتُ أسلوه أبتْ عِصمتي

مريم : فليكُ في الحبِّ الإباءْ

اسمعي يا هندُ قد عاد إلى

شِعرِهِ يُنشد ألحان الشّقاءْ

المنذر :

الحبّ أضنانــي	والقــلبُ عاداني

والـبؤس وافاني	ما كـان أغنــاني

يا وطـأةَ الحبِّ	لا تؤلمــي قـلبي

لا تـتركي لبـي	يبــكي بتحـــنان

حـرقاء لا تدري	ما ضمَّه صدري

أقضي وما أمري	يُفْشَــى لإنســـانِ

يا قلبُ لا تضجَر	يا دهــرُ لا تَنْهرْ

يا ظبيُ لا تقهَرْ	وارفِـقْ بأشــجاني

مريم : إنه يبكي وذا صوتُ بُكاهْ . واأساهْ

فإذا لم تجنح الحَرقا إليهْ

ماتَ فيها

هند : رحمةُ الله عليه

إنّ مَنْ ماتَ على الحبِّ الأكيدْ . لسعيدْ

مريم : هندُ. هذي فلسفاتُ العاشقين

هند : تَصْدقين

كم حسبتُ الموتَ برءاً لسَقَامي

كلّما جاش بأضلاعي غرامي

أنا لولا العارُ بَدّلتُ الحياةْ . بالمماتْ

مريم : أنت تهذين فلا ننسى إذن . أنّ مَنْ

يتلوَّى من جوىً طيّ الفؤادْ

هو مَنْ تعشقهُ هذي البلادْ

وترى خيراً به يوم الحروبْ . والخطوبْ

فأنا أخشى مصيرَ المنذرِ

هند : أخبري

ابنةَ النُّعمانِ بالأمرِ الجَلَلْ

فعسى تُفرجُ عنه ولعلّ

إنّما ذلك صعبُ المركبِ

هند : اذهبي

مريم : فالنِّسا يُدلِلْنَ إنْ قيل لهنْ . إنّهنْ

قد ملَكنَ اللُّبَّ والقلبَ الخلي

هند : ذاك يا مريمُ عينُ الخَطَلِ

أنت لا تدرين أحوال النِّساءْ . بالجلاءْ

هنّ قد يُظهرنَ بعضَ الكبرياءْ . والجفاءْ

إنّما يُخفين قلباً مغرما

تمتمَ الحبُّ به ما تمتما

فاذهبي مريمُ قد آن الأوانْ . بالأمانْ

(تفترقان)

المنظر الثاني

(يرفع السّتار الثاني عن قصر النعمان. الخادمان عبد ومسعود. عبد خادم أسود اللّون) .

مسعود : عبدُ. يا بَدْرَ الدّجى

عبد : اخرس فقد كاد صبري ينقضي فاعتدلِ

فإذا ما عدتَ تهذي

(مسعود مقاطعاً الحديث)

قلتُ مِنْ

فرط خوفي قومي يا ليلى انحلي

عبد : هاكها (يلحق به ويضربه بحذائه)

مسعود : يا عبدُ مهلاً إنّني

مازحٌ فاهدأْ ولا تستعجلِ

عبد : أنا لا أرضى مزاحاً مثلَ ذا

فتجنَّبه وإلاّ نقتتلِ

مسعود لنفسه: إن العبيدَ لعمري

سريعةُ الانفعالِ

لولا تداركُ قولي

قضيتُ تحتَ النِّعالِ

يا عبدُ أنكرتَ ودّي

وما حَفظتَ ولاءكْ

فما مزاحيَ إلاّ

لكي أزيلَ عَناءكْ

عبد : مسعودُ لا تُطل الكلامْ

قبحاً لوجهك من غلامْ

مسعود منفرداً: قد ضاق صدري . وغيرُ خمري .

لا يُخمد الأوصابْ (يخرج زجاجة خمر)

وآن سُكْري . فليتَ دهري .

يُعيدُ لي الأحبابْ

عبد مخاطباً نفسه يا عبدُ هذي رائحاتُ الخمرِ

فاحت كالعبيرِ

مسعود يا دنياي يا

عينيّ يا قلبي الكسيرِ

مسعود : يا عبدُ لم تنشد ولائي

قبلَ كاسات الخمورِ

اجلسْ سأنسى ما بدا

منكَ أيا بدرَ البدورِ

(قرع على الباب)

عبد : مَن على البابِ ؟

مسعود : فتاةٌ

عبد : ما عسى ترجو الفتاةْ

مسعود : إنّها مريم (يدنو من عبد ويهمس بأذنه)

هذي غادةٌ تحكي المَهاةْ

فإذا مسّتْ بكفٍّ

مَيّتاً شامَ الحياةْ

عبد : إنّني يا صاحِ مَيْتٌ

فلتَذُدْ عنّي الوفاةْ

(يتمدّد على الأرض)

مسعود : قُمْ أَيا جاهلُ

عبد : دعني

مسعود : ويكَ ما هذي الصّفاتْ

(عبد مغنّياً):

إنّ لي يا بنتُ قلباً في اضطرابٍ والتهابِ

فأَديري منكِ يا مريمُ معسولَ الرُّضابِ

مسعود : عبدُ

عبد : أُتركني وشأني

قُم أيا وجْهَ الغرابْ **(تدخل الحرقاء ووصيفاتها)**

مسعود : مولاةِ

الحرقاء : ماذا؟ تكلّمْ

مسعود : في رُدهةِ القصر مريمْ

الحرقاء : ماذا تريدُ

مسعود : فهذا في حلّهِ الله أعلمْ

الحرقاء :

اِذهبْ إليها سريعاً   وقُلْ لها تَـتقدّمْ

(عبدُ متلجلجاً): مولاةِ

الحرقاء : هيّا تكلّمْ

عبد : في ردهة القصر مريمْ

الحرقاء : خذوه ... فيه خَبالٌ وما لذلك بلسمْ

(تدخل مريم)

مريم : سلامُ الله يا ذاتَ المعالي

الحرقاء : سلاماً يا ابنةَ العُرْبِ الكرامِ

الحرقاء : عسى خيراً وراءكِ أخبريني

مريم : أماناً

الحرقاء : أنتِ عندي في أمانِ

(إلى الحاضرين) اذهبوا السّاعة عني

أمرُك العالي مطاعْ (الجميع يخرجون)

مريم :

حرقاءُ ... في كنَفِ الغدير

صبٌّ بمضطرم السّعيرِ

صبٌّ بريعانِ الشّبابِ

ورَونق الحسنِ النّضيرِ

قَرْمٌ له الباعُ الطويلُ

ورفعةُ البيتِ الخطيرِ

بين الذّوابلِ والقنا
والطَّعنِ كاللّيث الهصور
يَذَرُ الخميسَ مبدَّداً
فَيفي مؤوناتِ النّسورِ
ويقود أُسْداً لم تَرِدْ
حوضَ التقهقرِ والعثورِ
ما كان يحسَب أنَّه
يقتاده ظبيُ القصورِ
ملكَ الأغنُّ عِنانَه
يَسري به وعرَ المسيرِ
بلواحظٍ ألقتْه في
لُجَجِ الهوى دامي النّحور
ورمته بَين جنادلٍ
تَذَر النُهوضَ من العَسيرِ
يشكو ويندبُ قلبَه
والدمعُ كالسّيل الغزيرِ
والحبُّ أقتلُه إذا
كان المحبُّ بلا نصيرِ
يلقي على (ناي) الهوى
لحنَ العواطفِ والشُّعورِ
فكأنّها كادتْ تصوَّر
أو تميل إلى الظّهورِ
وسمعتُ ذكرَكِ في قصائدَ
كالقلائد في النّحورِ

الحرقاء : يَشدو بذكري؟

مريم : إي وربِّكِ ما حملتُ حديثَ زُورِ

الحرقاء : مَنْ يا ترى المغرورُ؟

مريم : عفوكِ فالهوى غيرُ الغُرورِ

مريم : فالحبُّ يقتنصُ الخطيرَ

ولا يعفُّ عن الحقيرِ

ملكٌ على أبوابِهِ وقفات ملكٍ أو أميرِ

ملكٌ لكَمْ جَدَع الأنوفَ الشمَّ أشباه الصقورِ

ملكٌ ولكنْ عرشُهُ ما بين طيّاتِ الصُّدورِ

يَنْهِي ويأمرُ والأنامُ بكفِّهِ كُرةُ الصغيرِ

ألقى على قفرِ الحياةِ وشاحَ جبّارٍ قديرِ

فإذا به روضٌ ذكيٌّ النبتِ فيّاحُ العبيرِ

وأسَيرُ حبِّكِ

الحرقاء : (مقاطعة) أخبري ما تعلمينَ عن الأسيرِ؟

مريم : فهو ابنُ عمِّك

الحرقاء : اِبن عمي؟ المنذرُ السّامي العشيرِ

ولمَ تمنّع أن يَبثَّ غرامَهُ

مريم : خوفَ النُّفورِ

فتبصّري بالأمر يا حرقاءُ مِن هولِ المصيرِ

الحرقاء : حسناً فعلتِ فإنّنا سنسير في طَلَب الغديرِ

هيّا بنا

مريم : سمعاً وطوعاً ربَّةِ المجد الكبيرِ

(يسدل الستار الثاني)

المنظر الثالث

(يظهر المنذر. والحرقاء ومريم مختبئتان. على الغدير)

المنذر : أهنتِ شبابي ولم ترحمي

فبالله رقّي ولا تَظْلمي

ويا قلبُ مهلاً ولا تعصِفَنْ

ولا تنضحنَّ زكيَّ الدّمِ

فما هِيَ أوّلُ خَوْدٍ رَمتْ

ولا أنت أوّلُ قلبٍ رُمي

وَرَكْبُ العُبابِ لشطِّ النعيمِ

جسيمُ المخاطِر للمُقْدِمِ

(تظهر الحرقاء)

الحرقاء : أناتَكَ منذرُ !

المنذر : من ذا أرى؟ ترى أنا أهذي؟ أنا أحلمُ

أطيفاً أشاهدُ ؟

الحرقاء : بل مَنْ تُحبّ ومَنْ كنتَ عنها الهوى تَكْتُمُ

المنذر:

أهلاً براحةِ رُوحي

أهلاً بِمَلْكـةِ قلبي

أفدي بروحي يوماً

أرى الحبيبةَ قربي

حَرقاءُ كَمْ ذُقْتُ العذابَ

وكم تجرّعتُ السَّقامْ

كم بِتُّ مجروحَ الفؤادِ

أكفكفُ الدّمعَ السَّجامْ

تشتاقُ عيناي المنامِ

لعلَّ طيفَكِ في المنامْ

(يطرق في تفكير)

الحرقاء : يا مقلةَ الحرقاءِ هذا .

بعضُ أفعال الغرامْ

مريم : إنَّ الهوى أنساهما

مريم لمّا التقيا

تكلَّما تَغازلا

تَعاتبا تَشاكَيا

(تتركهما وتذهب)

الحرقاء : عَلامَ أراكَ تطيل الفِكَرْ

أجبني فأنت صريحُ الخَبَرْ

المنذر : أفكِّر في الغُصْنِ كم يَنْثني

يُقبّلُ ثغرَ أخيهِ النَضِرْ

وفي الوردِ رفَّ على خدِّهِ
رَذاذُ السّحاب وطلٌّ السَّحَرْ
وفي النّهر هامَ على وجهه
يعانق شوقاً مياهَ البَحَرْ
وفي الأفق يبدو عشيقين في
عناق يدوم دوام القَدَرْ
فكلٌّ من الكونِ صبٌّ يقبِّلُ
ثغرَ الحبيب ويجني الثَّمَرْ
فلا أرى معنى لقبلاتها
إذا لم اقبِّلْ جناكِ العَطِرْ
هاكِها عربونَ حبّي ووفائي وولائي (يقبّلها)

[الستار]

الفصل الثاني

قاعة مزدانة بالصور والمفروشات الثمينة تتجلّى فيها عظمة كسرى. [من] الشعراء: حسَّان وجسّاس. [من] الوزراء: أخيل ويوسف. الندماء: دعبل، الغرباء: عصام وعناد. حاشية،المنشدون.

كسرى : حَسَّانُ

حسّان : مولاي

كسرى :

إنّي أرى بنفسي غَمّا

عِبءُ البلاد ثقيلٌ وحملُه كان حَتما

فانشدْ قريضَكَ عَلّي أروِّحُ النّفس ممّا

أحد الجالسين: فَداكَ كلُّ عزيزٍ

آخر : لا ذقتَ في العيش سُقْما

حسّان :

قَسْورَ الملكِ لا يَرُعكَ زمانٌ

يتلوَّى كأنّه الرّقطاءُ

حَضنتْ ملكَكَ السماءُ وقامتْ

في ذراهُ العدالةُ الشمّاءُ

معولُ الدّهرِ لا يميلُ بِمُلْكٍ

أنتَ فيه الهدّامُ والبنّاءُ

وبناءٌ دعامُه العلمُ والحِلْمُ

بناءٌ دَمارُه العنقاءُ

كسرى :

لعمْرُكَ ما خفتُ سهمَ الزّمانِ

فسهمُ الزّمانِ خيالٌ صراحْ

ولكنّما خِفْتُ غدرَ الوَليّ

وقد خَفضَ الذّلَّ منه الجناحْ

وما موردُ النَّدِّ غيرُ الفناءِ

إذا الكفُّ خانت أو السّيفُ طاحْ

حسّان : أيرتابُ مولاي فيمن ينصِّبُ

فوقَ السّهولِ وفوقَ البطاحْ ؟

وفيمن يقرّبُ ؟

كسرى : لا لا فَتلكَ وَساوسُ ثارتْ مثارَ الرّياحْ

فعهدي بكلّ فتىً لاذَ بي

هِزَبرُ المعامع كَبْشُ النِّطاحْ

ولكنَّ مُلْكاً كملكي الكبيرِ

يريني الصّديقَ عَدوّاً وقاحْ

وللمُلْك شَكمٌ كشَكمِ الخيولِ

وهيهاتَ تُكْبَحُ بعد الجِماحْ

دعبل : كذاكَ المِلاحُ إذا ما قَلَتْ

فهيهاتَ ترضى علينا المِلاحْ

(كسرى ضاحكا): لَعَمْريَ دعبلُ أُنسُ المجالسِ .

حلو الحديث لطيفُ النّكاتْ

وَصَلناكَ دعبلُ هذا النّهارَ بألف ....

دعبل مقاطعاً : ذلولٍ من السّائماتْ

كسرى : وذاكَ إليكَ

دعبل : وذي نِعْمةٌ تُطوّق جيديَ حتّى المماتْ

كسرى : وأنت يا جَسّاسُ

حسّان : إليَّ لا يقاسُ

(جسّاس غاضباً): أغوتكَ نفسُكَ والغَوايةُ إنْ سطتْ

ذهَبَتْ بأخلاق الفتى وكيانِهِ

لا عتَب أن جرّت عليك يراعتي

وملاكُ شِعري قام في شيطانِهِ

فالشّعرُ طَوعي ما غمزتُ عصَّيه

إلاّ جرى كالماء في جريانِهِ

ما البابليّة مع تقادم عهدها

أشهى وأذكى من عتيق دنانِهِ

فكأنّه هاروتُ في إيقاعه

وجلالهِ كسرى على إيوانهِ !

كسرى : أحسنت يا أخا العربْ

جسّاس : ما قلتُ إلاّ ما وَجَبْ

كسرى : فاجزل له أخيلُ للإبداع عقداً من ذَهَبْ

أخيل : سمعاً وطوعاً يا سليلَ المجدِ

جسّاس : شكراً ما نَضَبْ

(يدخل أحد الخدم)

الخادم : جوقةُ العزّاف في الباب فماذا تأمرونْ ؟

كسرى : أدخل الجوقةَ يا ميمونُ وادعُ المنشدينْ

(يحني رأسه ويخرج)

كسرى :

غنِّ يا حارثُ غن شَنِّف الأسماع منّي

الحارث :

أمرُ مولاي مُطاعٌ وله كلُّ التَّمنّي

(تدخل جوقة العزّاف وتبدأ تعزف)

(الحارث ينشد)

الحبُّ للأرواحْ راحٌ يغذّيها

لكنّه فضّاحْ يفشي خوافيها

فُلْكٌ مِن المَرجانْ سرنا به والكاسْ

شراعُه الأجفانْ وريحُه الأنفاسْ

جُزنا به الأبحار والموجُ في إرغاءْ
لكنّما الأبرارْ لم تَبتللْ بالماءْ
وفي شطوط الأنسْ ألقَى بمرساهُ
هناك حيثُ النّفسْ تخلو بمرآهُ
هناك لم تُسْمَعْ ضوضاءُ هذي الناسْ
فالحبُّ قد شَعشعْ وطهّرَ الأرجاسْ

(الجميع) : مرحَى مرحَى

دعبل : مرحَى مرحَى

هاتِ الخمرا هاتِ القدحا

كسرى :

ما أطربَ الأنغامْ ما أعذبَ الألحانْ
تمشي إلى الأجسامْ كالرُّوحِ في الأبدانْ

طبيب كسرى: مولاي هل تسمح لي بقول شعرٍ غَزلِ

نظمتُه في أكحلٍ له اعتدالُ الأسَلِ
يبدو بخدٍّ خَجلٍ حلوٍ ذكيِّ القُبَلِ

له مجونُ دعبلِ

(دعبل حانقاً): إنّي لأعجبُ من طبيبٍ
يدّعي فَهمَ العروضْ
يا مَن يُقضّي العمر ما
بين جروحٍ ورضوضْ

ويبيت يحلمُ في المريضِ
وفي مداواةِ المريضْ
من أين يُحسنُ ذوقُكَ الشّعريّ
في سَبك القريضْ.. ؟

الطبيب :

قد نالَ يا مولاي منّي قولُ هذا الفاجرِ

كسرى :

أهنتَه بالابتدا ولم تَفُزْ بالآخرِ

دعبل :

لم ألقَ أحمقَ شاعرٍ من الطّبيبِ الشّاعرِ!
أهنتَني أَلم تَهَبْ يا شاعرَ المقابرِ

كسرى :

اتركا هذا الجدالْ كاد يُفضي بقتالْ

(مخاطباً الحارث) غنِّ يا حارثُ غنِّ

الحارث : لكمو كلَّ التمنّي

الحارث : **(يخاطب وداد)** هيّا يا ودادُ قد بدا التّلحينْ

(تبدأ الجوقة بالعزف)

إنني أغنّي أنتِ ترقصينْ

(الحارث ينشد ووداد ترقص)

الديكُ صاحْ والفجرُ لاحْ
واتَتْ رداحْ بكؤوس راحْ

تسقي العليلْ

عيشٌ جميلْ

يتغنّيانِ من السّرورِ

يتقلّبانِ على الزّهورِ

يتساقيانِ من الثّغورِ

والعشبُ من نفحِ الصباحْ

ثَمِلٌ يميلْ

عيشٌ جميلْ

لم يألفا غيرَ الجِنانِ

لم يرشُفا غيرَ الدِّنانِ

لم يَعرفا صرفَ الزَّمانِ

بسَطَ الهنا لهما الجناحْ

ظلٌّ ظليلْ

عيشٌ جميلْ

(تحني الراقصة رأسها وتجلس ويدخل خادم)

كسرى : ماذا ورا ميمونَ ؟

ميمون : كلُّ الخير يا ربَّ الجلالِ

بشراكَ يا مولاي قد عاد الطُمَيحُ من القتالِ

تركَ الأعادي خَلْفهُ تحتَ الجنادلِ والرّمالِ

ويقود غِيداً إثرَهُ يَفتُنَّ يوسفَ بالجمالِ

(يخرج)

كسرى (بعظمة): بشراي ملكي ثابتُ الأركانِ

رغم العواصف مُدْعَمُ البِنيانِ

ما سار جيشٌ للمعامع والوغى

إلاّ وعاد مكلّلاً بأمانِ

ضرباتُ قلبي اِهدئي وتلوَّمي

وتيقّني أنّ الزّمانَ زماني

(يدخل الطُميح)

الطميح : سلامُ السّماواتِ يا ذا الجلالِ

كسرى : سلامٌ عليك هِزبرَ الوغى

أَبِن ما فعلتَ

الطميح : شهرتُ السّلامَ ولمّا استتبَّ خبأتُ القنا

ولكنّ شيبان ثارتْ عليَّ

فقام عَن النّاب صلٌّ الرَّحى

فَصُلنا بعزمٍ كسيلِ الأَتيّ

يشقُّ القفارَ ويفري الفلا

وللسّهم رشقٌ وللرّمحِ نتقٌ

وللسّيف مَشْقٌ بِهامِ العِدا

ولما تكاثف ليلُ العوانِ

تبلّجَ للخصمِ صبحُ الرَّدى

فلم نتنسّم لهم نسمةً

فبعضٌ تلاشى وبعضٌ نجا

كسرى : وماذا أصبتَ من الاِنتصار؟

الطُميح : كواعبَ منها الظِّبا والمها

دعبل : كواعبُ منها الظِّبا والمها لعمري ذلك كلُّ المُنَى

كسرى : أدعبلُ ما بكَ ؟

دعبل : يا سيّدي يصفّق قلبي لذكِرِ الهوى

فلا تنظرَنَّ لجسمي الهزيل　　　بعين التهكّمِ والاِزدرا

فإن يكُ رأسي علاهُ المشيبُ　　　فما زال قلبي صبيّاً فتى !

كسرى : عَلامَ تحثُّ الوئيدَ الخطا

وتحني الأصابعَ فوقَ العصا

دعبل : فما ذاكَ إلاّ لضربِ العذولِ

وطَردِ الرقيبِ قبيلَ اللّقا

كسرى (ضاحكاً):

حقّاً لأنتَ نديمٌ　　　ما لي بديلٌ عنهُ

دعبل : شكراً إليك مليكي فالشّكر لا بدَّ منهُ

(يستغرق كسرى بالضحك)

كسرى : طُمَيحُ أينَ السّبايا ؟

الطُميح : في القصر يا مولايَ

كسرى : جئني بهن سريعاً

دعبل : بحقِّ ربِّ البرايا (يخرج الطُميح)

كسرى : دِعبلُ هل مِن قصةٍ تُضْحِكُ ؟

دعبل : أمْر الآمرِ

مولايَ هل يُضحككم شعرُ الطّبيبِ الشّاعرِ

إن تأمروا أسمعْكمُ ما قد بقي في خاطري

الطّبيب : (حانقاً) مولاي !!

كسرى : مهلاً إننا في وقت أُنس وانشراحْ

دَعه يَقُلْ ما قولُهُ إلاّ ضروبٌ مِن مُزاحْ

(تدخل السّبايا)

السّبايا : ملكَ البلادِ تحيّةً وسلاما

كسرى : وعلى ظباءِ العُرب ألفُ سلامِ

كسرى إلى الحاضرين ما شاهدتْ عيناي أبهجَ طلعةً

من هذه الأطلاءِ والأرآمِ

فكأنَّهن وقد علاهنّ الحيا

سِحرُ الزّمانِ وفتنةُ الأيّامِ

دعبل : فإذا برزنَ لراهبٍ متبتّلٍ

عافَ الكنيسَ وهام أيَّ هُيامِ

من كان يرجو وصلَهن فإنّما

يرجو نوالَ البرِّ من حَاخامِ !

يوسف : مولايَ هذا بعضُ ما شاهدتَ من حُسن العَرَبْ

في كلِّ خِدرٍ غادةٌ هيفاءُ تبسم عن شَهَبْ

فكأنّها الحرقاءُ ما بين الرّصانةِ والأَدَبْ

كسرى : حرقاءُ؟ مَن هي هذه الحرقاءُ إن ذُكِرَ النَسَبْ

يوسف : فهي ابنةُ النّعمان يا مولاي

كسرى : ذلكَ ما يُحَبّ

يوسف : حَسناءُ لم تلد النّساءُ شبيهها مَرَّ الحِقَبْ

وهبَ الإلهُ مِن الجمال إلى صِباها ما وَهَبْ

كسرى : إني لأطلب كفَّها

الجميع : يا نِعْمَ ذيَّاكَ الطلَبْ

كسرى : أعصامُ زِدني خِبْرةً

عَن ربَّةِ الحُسنِ العُجابْ

إذ أنت أدرى الناسِ فاصدقْني الحقيقة والصوابْ

ما بين حجّابِ الملوكِ ومالكيهم من حِجابْ

عصام : أنا أعهدُ الحرقاءَ يا

مولاي فاتنةً كَعابْ

تختالُ في بَرَد السّنا

وتتيه في بُرُدِ الإهابْ

لاغرو أن عُشِقَتْ فما

في العشقِ عندَ الطُّهر عابْ

كسرى : أتقولُ عن ظَنٍّ ؟

عصام : أجل

كسرى : الظَّنُ ليس له حسابْ

إلى الطُميح : سِرْ يا طُميح غداً إلى النُّعمان

واقرئه الكتابْ

واحملْ له المالَ الجزيلَ

الطميح : كما تشا عالي الجنابْ

كسرى : فإذا تَمنّع فانذر النّعمانَ في سوء المآبْ

الطميح : مولاي مَن يرمي بطوق

المكرماتِ عن الرقابْ؟

طوَّقتَ عنقَ أبي الفتاة السّمحِ بالمجد اللّبابْ

كسرى : ماذا يقول ابنُ الطُميح ؟

عصام : القولُ للملكِ المُهَابْ

مولاي أدرى بالأمور

وما له رأيٌ يُشابْ

كسرى : ومتى تسير إلى مليكِكَ يا عصامُ ؟

عصام : لدى الغيابْ

(ينهض كسرى والجميع ينهضون)

(الجميع ينشدون):

كسرى سليلَ العِظامْ والأكرمينْ

لا زلتَ كهفَ السّلامْ للاّجئينْ

نبعَ الصّفا وردَ الوفا

غوثَ الندى للعالمينْ

(الجميع يخرجون عدا عصام وعناد)

عصام : أترضى العُربُ بعلاً أعجميّاً إلى الحرقاء

عناد : ذلك ما يريبُ

عصام : فَمَنْ كسرى أنو شِروان حتّى

تُزّفَّ له المكرَّمةُ العَروبُ ؟

إباحيٌّ غصوبٌ مزدكيٌ

فبئسَ الدّينُ والفدمُ الغَصوبُ

وما النعمان إلاَّ نفسُ حرٍّ

لها للمجدِ والعليا وُثُوبُ

لَعمري لن يلبي أمرَ كسرى

وفي أعراقه نبضٌ يجوبُ

فسوف تقوم حربٌ من لظاها

وغائِلها تُشَقُّ لها جُيوبُ

فكسرى لا تلينُ له قناةٌ

وحَولُ العرب في الهيجا عجيبُ

عناد : ولكن لم يَعُدْ للعرب شملٌ

ونجمهمو سيدركُه الغروبُ

عصام : يفرّقهم إذا نُصِروا سلامٌ

وتجمَعُهم إذا قُهِروا حروبُ

هم الغرُّ المطاعينُ الدّواهي

إذا ناداهمُ اليومُ العصيبُ

همُ الفرسان إن صهلتْ خيولٌ

وإن عضَّتْ على الشُكْم النيوبُ

لهم من كلِّ مكرمةٍ نصيبٌ

وما للجبنِ عندهمُ نصيبُ

إذا سِيموا بذلٍّ واضطهادٍ

فطعمُ الموت في فمهم عَذوبُ

عناد : غداً نستقبلُ الأخبارَ عنهم

عصام : وإنَّ غداً لناظِرِه قريبُ

(يسدل الستار)

الفصل الثالث

الرسـالـة

(مريم والحرقاء في قصر النّعمان)

الحرقاء : مضى الميعادُ يا مريمْ   وحبلُ تَصبّري يُصْرَمْ

مريم : سيّدتي

الحرقاء : هيّا اخْبري ماذا جرى للمنذرِ

مريم : لا شيء يا بنتَ الملو كِ تلوّمي وتصبّري

ضيفٌ عزيزٌ زارهُ ولأجْلِ ذا لم يحضرِ

واليومَ قد ذهبا إلى صَيدِ القَطا

الحرقاء : لا تَفْتري

مريم : وأبيكِ هذا ما جرى

الحرقاء : لكنَّه لم يُخبرِ

مريم : قد جاءَ فجرَ اليومِ

الحرقاء : لكنْ والدي ؟

مريم : لم يُبصرِ

فروى إليّ حديثَه وزيادةً لم يَذكرِ

(الحرقاء تتكئ على مريم ودلائل القلق عليها)

الحرقاء :

طالَ سُقمي ليت شِعري أي متى ألقى شفائي
ليتني أعلمُ دائي لأرى منه دوائي
لستُ أدري أيَّ أمرٍ باتَ يدعو لشقائي
غيرَ أنّ النفسَ منّي في انقباضٍ وعناءٍ

مريم : هوِّني عنكِ

الحرقاء : فهذا من تصاريفِ القضاءِ

مريم : مَلْكتي كلُّ قضاءٍ لكِ يقضي في الهناءِ
ابنةُ النّعمانِ تشكو كيفَ حالُ الفقراءِ ؟

(أصوات من الخارج)

الحرقاء : إنّني أسمعُ وطءاً انظري مَنْ في الفِناء

(تنهض مريم وتطلّ إلى فناء الدار)

مريم : عادَ المليكُ وخلفَه وزراؤهُ وصِحابُهُ

الحرقاء : هيّا بنا

مريم : هيّا بنا قد أقبلتْ حجّابُهُ

(تخرجان)

(يدخل النّعمان ووزراؤه وحاشيته)

النّعمان : مسعودُ سِرْ وانظر عسى
في الباب بعضُ المُشتكين

مسعود :

في الباب يا مولاي مظلو مٌ أتانا منذ حِينْ

تبدو على قسماتِهِ سيماءُ مكتئبٍ حزينْ

النّعمان : سِرْ وادعُهُ

مسعود : سمعاً وطوعاً (يخرج)

النّعمان للحاضرين: من عسى الشاكي يكونْ ؟

(يدخل المظلوم وهو شيخ يهودي)

النّعمان : يا شيخُ مالكَ تبكي فإن ظُلِمتَ رَحِمنا

اليهودي : شُمنا عدالةَ كسرى وظُلمنا فبكَينا

النّعمان :

هوِّنْ عليكَ فإنّا نُعطيكَ ما تتمنّى

كسرى عدلتَ ولكنْ ما كنتَ أعدلَ منّا !!

الوزير ابنُ هاني لنفسه:

سيكشفُ الوغدُ الغِطاءْ ويَظهر الآن الخَفاءْ

يخاطب النّعمان:

قد جَاء هذا الشيخُ يا مولاي حبّاً بالعَطاءْ

فَلْنعطِه ولينصرفْ

(اليهودي بتهكّم): وأبيكَ ذلكَ لا أشاءْ

النّعمان : هيّا أفدني ما الخَبَرْ

اليهودي : للملك منّي ما أمرْ

قد كانَ يا مولاي لي	خمسُ بناتٍ وبنينْ
لم يبقَ مِنهم غير حسناءَ	تسرُّ النّاظرينْ
فأحبَّها رجلٌ طويلُ	الباعِ ذو جاهٍ مكينْ
فأراد أنْ يلهو بها	فرددتُه صِفرَ اليدينْ
لكنَّه قد عاد ليلاً	مع لصوصٍ مجرمينْ
أخذوا فتاتي عَنوةً	وأثاثَ مَنزلي الثمينْ
وطُرِحتُ في قعرِ السّجو	ن أذوقُ آلامَ السجونْ

النّعمان : من ذلك المُتَغطرِسُ الجبّارُ والنذلُ الخؤونْ

اليهودي : فهو ابنُ هاني !

النّعمان باندهاش: يا بنَ هاني ما جزاءُ الظّالمينْ !!

إن لم نكن نحن الكرامَ ذوي الإباء فمن يكونْ ؟

ما حلَّ بالحسناءِ ؟

ابن هاني : يا مولاي في حصنٍ حصينْ

النّعمان : يا شيخُ قُلْ ما شئتَه واطلبْ ولو قطعَ الوتينْ

اليهودي : مولاي ما لي أولاً ثم ابنتي

النّعمان : والمعتدون ؟

اليهودي : الأمرُ للملكِ الهُمامِ الشّهمِ خيرِ الحاكمينْ

النّعمان : مسعودُ ألقِ ابنَ هاني في السجنِ

مسعود : كلُّ الطاعَهْ

النّعمان : وأنتَ يا شيخُ رُدَّتْ إليك كلُّ البِضاعَهْ

اليهودي : أبقاكَ للعدل ربّي شهماً تُشيد قِلاعَهْ

(يذهبون)

أحد الحاضرين للملك :

إنّ اليهوديَّ أمسى له حقوقُ الرجالِ

آخر : أتُرفَعُ لليهود بنودُ حقٍّ وتَغشى ظلمةَ السّجن النصارى؟

النّعمان :

بَلى فالناسُ كلُّهم سواءٌ إذا ما العدلُ كان كما أشارا

إذا لم يُبنَ فوق العدلِ ملكٌ فبشّرهُ التضعضعَ والدَّمارا

النّعمان : مَسْعودُ

مسعود : يا مولايَ

النّعمان : هَلْ في البابِ بعضُ الشّعراءْ

مسعود : أجل

فأدخلْهم إذن ففيهمُ بعضُ الصّفاءْ

سمعاً وطوعاً (يفتح الباب) اِدخُلوا (يدخلون)

الشّعراء : مَلكَ الأعاربِ عِمْ مَسَاءْ

قيس : لوصغتُ شِعري من عقودِ جُمانِ

لم أقضِ حقَّ مكارمِ النّعمانِ

ومِن الذي البحرُ الخضمُ بيانُهُ

يزري بكلِّ فصاحةٍ وبيانِ

سيّرتُ شِعري في عُلاك فلمَ يَقِفْ

إلاَّ وبزَّ بلاغةَ الذُّبياني

لم يستمعني شاعرٌ ما لم يقل (يقاطعه شاعر متلثّم)

الشاعر المتلثّم: قبحاً لشعرٍ ليس فيه معانِ

أتهينُني يا وغدُ (يضع يده على قبضةِ سيفه)

النّعمان : مهلاً مَن أرى يا شيخُ

المتلثّم : يا مولايَ إنّي القائلُ

اعقلْ قَلوصيَ أيّهذا الحادي
إنَّا بربعِ بثينةٍ وسُعَادِ
رَبعٌ عَفَتْه الرّيحُ في إعصارها
إلاَّ بقايا النّؤي والأوتادِ
لولا شذا الأظعانِ في عَرَصاتها
باق لضلَّ سبيلَه للهادي
فوقفتُ والوَجناءُ ترزمُ حسرةً
ولَغامُها متواصلُ الإزبادِ
فَجَرَتْ شآبيبُ الدّموع وأبرقتْ
زفراتُ وَجدٍ من صميمِ فؤادي
يا يومَ جدَّ الظّعنُ في ترحالهم
حَطَّمتَ من صفو الحياةِ عمادي
هلاّ جذبتَ العيرَ من أثقانها
ومنعتَ خِشفي من عبور الوادي
إنّي ليؤلُمني الوقوفَ معاتباً
مَنْ قلبُه قَدْ قُدَّ مِن أصلادِ

ففككتُ عن ساق القَلوص إباضَها

فجرتْ رسيماً في بِطاح قَتَادِ

وقطعتُ فيها كلَّ قَفرٍ قَرْدٍ

مستوحشِ القصّادِ والورّادِ

قد صَوَّحتْ فيه المياهُ فلا ترى

في الجَفر غيرَ العفر والأعوادِ

وتخال عصفَ الرّيح فوقَ هِضابِهِ

هزجَ السّميدع صِيدَ في المرصادِ

والذئبُ مَطويّ الحوايا لم يجد

في الحيّ معطَنَ ماعزٍ للزّادِ

قد حدّثته النّفسُ في مُهريّتي

فدنَا على كِبْرٍ بِهِ وعنادِ

قد خالني جبساً تَهزّ فرائصي

ومُعرَّداً من سِفلةِ الأوغادِ

فعوى وأردفَ أيطليه بِصُلْبهِ

وجثا يدقُّ البطنَ في استئسادِ

عاجلتُه مِنّي بحدِّ مُشَطَّبٍ

قد ملَّ طعمَ السُّهدِ في الإغمادِ

فاهتزّت الوجناءُ من طَربٍ بها

وتدفّقت كالسّيلِ من أطوادِ

تطأ السّفا مَسبوعَةً ومسيرُها

متواصلٌ والعزمُ في إمدادِ
قد أقسمتْ ألاَّ ينزِّلَ رحلُها
إلاَّ إلى النّعمانِ ذي الإرفادِ
ملكٌ رفيعُ البيت لم يُدعَمْ بهِ
غيرُ العُلا والمجدِ مِن أعمادِ
سَمحٌ يسيل الجودُ من أعطافهِ
سيلَ الأتيّ يشقُّ بطنَ الوادي
لا تبخلَنّ عليّ بالعفو الذي
أمّلتُه يا عُمدةَ الإنجادِ
قد خَرّص الواشون عنّي جهدَهم
إنَّ الوشاةَ كثيرةُ الأحقادِ
واليومَ جئتُك لاجئاً من بعدما
فتّ الضّنا بالأهل والأولادِ
صفرُ الوجوه تركتُهم في مأتَمٍ
يبكونني خوفاً مِن الأضدادِ
لكنَّ عهدي في حنانكَ ساقني
وإليكَ إنّي قد تركتُ قيادي
فاصفحْ وجدّدْ حُسْنَ ظنِّك كيفَ لا
والصفحُ دوماً شيمةُ الأمجادِ

الجميع : الشّاعرُ الذّبياني الشّاعر الذّبياني

النّعمان : قد صفحنا وأجزنا وفعلنا ما ترومُهْ

الذّبياني :

دُمتَ للملهوف عوناً ولمن جلّتْ همومُهْ

النّعمان : مسعودُ أحضرْ مائداتِ الخمرِ مع حُورٍ وغيدٍ

مسعود : سمعاً وطوعاً **(يخرج)**

الذّبياني : سيّدي هل تنظرَنَّ إلى بَعيدِ

إنِّي أشاهد عِثْيراً يعلو على سَطح الكديدِ

وأرى هياكلَ

النّعمان : قد صدقتَ لعلَّها بعضُ العبيد

عصام : مولاي هذا والدي

النعمان : أأتى لوعدٍ أم وعيدِ ؟

وعلام حفَّت حولَه هذي الجموعُ من الجنودِ ؟

عصام : قد جاء في أمرٍ خطيرٍ دونَه عِرقُ الوريدِ

النّعمان : ماذا تقولُ ؟

عصام : لقد دنا

الذّبياني : الصّبرَ يا عالي الجدودِ

النّعمان : هيّا بِنا للقائِهِ **(يخرجون عدا اثنين)**

الأوّل : ما ذاك بالأمرِ الحميدِ

أمَلْكُ العروبة يسعى إلى

لقاءِ الطُميح فتى ملَّتِهْ ؟

الثاني : ولكنْ تذكَّرْ بأنّ الطُّمَيحَ

يمثّل كسرى على صولَتِهْ

فماذا تُضِرُّ ملاقاتُه

وفي الأمرِ ما فيهِ من عِلّتهْ

فهيّا نجاري الزّمانَ المدى

ونرقصُ للقردِ في دولَتِهْ

(يخرجان)

(يُدخل مسعود مائداتِ الخمر)

مسعود : ذي قصعةُ اللوزينجِ أشهى من الفالوذجِ

(يأخذ قصعةً ويأكلها ويطلّ عبدٌ من الباب)

عبد : مَن قالها ؟ أنا لا أصدّق هاتِ ذوّقني

مسعود : اخرجِ

عبد : مسعودُ إنّك لا تزالُ على الطّريق الأعوجِ

(يخرجان)

(يدخل الطُميح والنّعمان جنباً بجنب وحولهما الحاشية)

النّعمان : حملتَ المصاعبَ فيما أظنُّ

غداةَ بلغتَ سفوحَ القِممْ

الطُميح : ولكنّ حولي أسودَ الفلاةِ

الكبارَ النّفوس العظامَ الهِمَمْ

وتحتي جوادٌ يُجاري الرّياحَ

ولم يَتمتّع بطولِ الشَّكَمْ

النّعمان : تفضّل وبدِّدْ عناءَ المسيرِ

بخمرٍ تُعتَّقُ منذ القِدَمْ

وذاكَ مقامُكَ (يشير إلى مقعد)

الطُميح : شكراً إليكَ حميدَ المزايا كريمَ الشِّيَمْ

(يجلس النّعمان والطُميح ثم الجمع)

مسعود : الغانياتُ الراقصاتُ

النّعمان : الوقتُ يا مسعودُ فاتْ

(يخرج مسعود)

الطُميح : لَعمري هذا الخمرُ للنّفس منيةٌ

النّعمان : وهذا الشّذا كالنَّدِ والمِسكِ طيّبُ

على حبّ كسرى اشرب الكأسَ (يرفع الكأس)

الطُميح : إنّني على حبّ ملْك الحيرة الكأسَ أشربُ

(يرفع الكأس)

النّعمان : على حُبِّ قومي الكرامِ العَرَبْ (يرفع الكأس)

الجميع : على حبّ خيرِ ملوكِ العَرَبْ

(الجميع يشربون)

النّعمان : أطُميحُ هل لكَ أن تفضّ .

رسالةَ الملكِ الجليلِ

الطُميح : هذي الرّسالةُ خيرُ ما

جاءتْ به أيدي الرسولِ

بُشراكَ قد حُزتَ العُلا

والمجدَ يا سامي الأصولِ

(يخرج الرسالة ويقرؤها واقفاً والجميع واقفون)

مِن قاهرِ البلادِ وسيِّد العِبادِ

كسرى أنو شروانِ عالي الذّرا والشّانِ

إلى مليك الحيرةِ ذي الهمّة الكبيرةِ

نعمانُ لي لبانَه عزيزةٌ مُصانَه

لبانتي الحرقاءُ وكلُّ ما أشاءُ

هذا وفي الختامِ مقدَّم سلامي

الطُميح : هذي رسالةُ كسرى فما جوابُكَ

النُعمان : سلبا

الطُميح : هل تقذفنّ بمجدٍ يكلِّل الرّاسَ عُجبا

ومن يخالف ليثاً لو خاطب الدّهرَ لبّى ؟ !

النّعمان بغضب: أناتَكَ أربيتَ فيما تقولُ

الطُميح : مقالي جَليّ المرامي مصيبْ

النّعمان : ركبتَ أخا العرب متنَ الغرورِ

ولم تتوجَّس مصيرَ الرّكوبْ

فإنّي سئمتُ مقامي الرفيعَ

وكسرى عليه مُطلٌّ رقيبْ

فواللهِ لو كان في الكفِّ عضبٌ

وحولي من الحَول دانٍ قريبْ

لما كان مثلي صبورَ الجنانِ

على حُكمِ باغٍ دخيلٍ غريبْ

فدنتُ إليه عديمَ الظهيرِ

ولم أرَ في ذاك بعضَ العيوبْ

فقد تبقر الشاةُ بطنَ الغَضَنفَرِ

واهي المخالب واهي النيوبْ

تعدّيتَ كسرى حدودَ اللِّياقةِ

إنّ التَّعدّي أسُّ الكُروبْ

تطلّبتَ أمراً تهونُ عليهِ

جِسامُ الرّزايا كبارُ الخطوبْ

فلا يخدَعنّكَ فيَّ السّكونُ

فقد يسكنُ اللّيثُ عندَ الوثوبْ !

الطُميح : ما تقولُ الأمراءْ ؟!

أحد الحاضرين: إنّ في الأفواه ماءْ !

عصام : أمليكُ هذي لَطخةٌ من عارِ

فَحَذارِ منْها يا مليكُ حذارِ

كِسرى وإنْ يكُ في البلاد مُسيطرا

لا ينتمي لعراقةٍ وفخارِ

أتصاهرُ الأعجامَ ؟

آخر : هذهِ مُضغةٌ شَنعاءُ تبقى في فمِ الإعصارِ

الطُميح : ثَكِلتكَ أمُّك يا عصام ألم تَهَبْ كِسرى ؟

عصام : لَعمري ليس في أفكاري

الموتُ أهون عندنا من أن نرى الحرقاءَ زوجَ العِلجِ

الجميع : يا للعارِ ؟

الطُميح : أَيُهان كسرى؟ تلك أقتلُ طعنةٍ

للعُربِ لن تشفَى مدى الأدهارِ

عصام : كلُّ امرئٍ لا بدَّ يلقى حتفَه

آخر : فاختره تحتَ الصّارم البتَّارِ

الطُميح : وأراكَ يا نعمانُ تصمتُ فانتظرْ

هولَ الهِزبر الفاتحِ القهّارِ

فلسوفَ يجتاحُ البلادَ بجحفلٍ

ويعودُ عَنْها وهي صِقْعُ دمارِ

ويدوسُ عرشَكَ بالسّنابكِ عَنوةً

ويسيرُ بالحرقاءِ في الأمصارِ

ويُبيدُ ذكركَ !

النعمان : لا ملامةَ طالما حتفي أتاني في سبيل ذِماري

فإذا انقلبتَ إلى مليككَ قُلْ له

عِرضُ الحرائرِ لا يُباع لشاري !

الموتُ أهونُ عندي مِن هذهِ الأمنيّهْ

فاخْبرْ مَليككَ أنّي ذو نخوة وحميَّهْ

تراه يجهلُ أنّي من أمّةٍ عربيَّهْ

لله أمةُ مجدٍ　　　　　　　　بها النّفوسُ أبيَّهْ

فلا تُخوَّفُ كسرى　　　　　　　　ولا تَهاب منيَّهْ

إن كانَ ثمة عارٌ

الطُميح مقاطعاً: لا عارَ في ذي القضيَّهْ

النّعمان : ارجع لِملكِكَ (يضرب على المائدة بقبضة يده)

الطُميح : لكنْ في العَود شرٌّ بليَّهْ

النّعمان : إنّ المقدَّر يجري في الصّفحة الأزليَّهْ

(الستار)

الفصل الرّابع

المنظر الأول

(المنذر بن الريّان قربَ قصر النعمان)

المنذر : اليومَ حَقَّ لأدمعي أن تهمعا

ولقلبيَ المصدوعِ أن يَتَوَجَّعا

رحَّبتُ بالعيشِ السّعيدِ ولم أكدْ

أحظى به حتّى وقفتُ مشيِّعا

فَضَّت نِقالي الحادثاتُ وبدَّدتْ

شملي وهزَّتْ ركنيَ المتصدِّعا

لهفي على هذي الربوعِ أتمّحي

مِن بعدنا وتصير قاعاً بلقعا ؟!

فلكم لنا من ضَجعةٍ في ظلِّها

نشكو الغرامَ ونستهلُّ الأدمعا

واليومَ يا حرقاءُ (تظهر الحرقاءُ فجأةً)

الحرقاء (مداعبةً):جئتَ منادماً هَلْ غيرُ ذلكَ ؟

المنذر : بَلْ أتيتُ مُودِّعا !

الحرقاء : ومتى تعودُ ؟ غداً ؟ أبَعْدَ غَدٍ ؟

المنذر : بَلْ فوقَ ذلكَ !

الحرقاء : قل إذنْ لن ترجعا !

المنذر : ماذا أقولُ فِداكِ نفسي

الحرقاء : قُلْ فَما أبقيتَ في قوسِ التّصبّر مَنْزِعا

المنذر : نُبئتِ عن أمرِ الطُميحِ رسولِ كسرى

الحرقاء : كلَّ شَرْ !

المنذر : ورجوعِه خاوي الوِفاضِ ولم يَنلْ منَّا وطَرْ

والیومَ جاء بجحفلٍ

الحرقاء : ويلاه! ما هذا الخبرْ !!

ألِقَتْلنا ؟

المنذر : لا بل لأخذكِ

من يَدَيْ بطَلٍ نَمِرْ

وحياةِ عينكِ وهي أغلى

من فؤادي والبَصَرْ

وجمالِ مَبْسمِكِ الشّهيّ

وورِدِ خدّيكِ النَضِرْ

لم تحظَ فيك يدُ العدا

وبجانبي زعِفٌ ذكَرْ

لو بِتِّ في خطرٍ فديتُ

بمهجتي دَفعَ الخَطَرْ

سأسيرُ يا حَرقاءْ في

طَلَبِ الأشاوسِ من مُضَرْ

أمرَ المليكُ بأن أسيرَ

ولا مَردَّ لِما أَمَرْ

* * *

أيا حَرقاءُ عهدُ الأنس ولَّى

وإنَّ البؤسَ طوعَ الدّهرِ حلاّ

فهلاّ تحفظينَ الودَّ هلاّ

وترعَينَ المودّةَ والذِّماما

الحرقاء : أمنذرُ سِرْ وكُنْ خَير الرّجالِ

وَدَعْ ذكرى لأيّامِ الوِصالِ

فلا يمنعْكَ عن نيلِ المعالي

ونيلِ المجدِ ما يُدعى غَراما

(يخرجان)

(يظهر النّعمان وحاشيته بملابس الحرب)

النّعمان : المجدُ للفَعّال يومَ جهادِ

وَلِمن يُبدّدُ صولةَ الأوغادِ

ولِمن يجاهِرُ بالحقيقةِ نفسِها

ويَصدُّ عنها غارةَ الأضدادِ

والمجدُ لا يندكّ صرحُ جلالِهِ

إن كانَ شِيدَ على تُقىً ورشادِ

فارفعْ لنفسك في حياتكِ مجدَها
إنّ الحياةَ تسيرُ إثر نَفادِ
وإذا عجزتَ وما أصبتَ رمايةً
فاخلعْ عليها ألفَ ثوبِ حدادِ
كسرى! تهدِّد أشْهَباً في بُرْدِهِ
نفسُ الملوكِ وهمّةُ الآسادِ
نفسُ الملوكِ أبيّةٌ لا سيّما
مَنْ ينطقون طبيعةً بالضادِ
فلسوف أدفعُ ما استطعتُ بِمُرهفي
بغي العداةِ وكيدَها المتمادي
حتى إذا ما متُّ متُّ مُكرَّماً
وكذا يموتُ الحرُّ في استئسادِ
إن الحياةَ وإن غَلَتْ لرخيصةٌ
إنْ قامَ أمرُ مَواطنٍ وبلادِ
يا قومُ هذي جُندُ كِسرى أقبلتْ
في جحفلٍ يحكي الحَصا في الوادي
فاستبسلوا وتهيّؤوا لنزالِهم
الجميع : إنّا إلى الجُلَّى على استعدادِ
سنقابلُ الحتفَ الرّهيبَ بواسماً
النّعمان : حُييتمو يا نُخبةَ الأمجادِ

(أصوات وضوضاء مختلفة)

ألقوا السّلاحْ ألقوا السّلاحْ

واستسلموا قبل الكفاحْ

ألقو السّلاحْ

النّعمان : خسئتمْ مَعشَر الأنذالِ

لسنا معشراً أنذالْ

فلو للخلق مثّالٌ

لكنّا دُمْيَةَ المثّالْ

يظنّون الخميسَ المَجْرَ

والصيّابَةَ الأبطالْ

تذلّلُ من عزائمنا

فترغمَنا على الإذلالْ

رويداً سوف تلقَون .

الغزاةَ الصّيدَ والأقيالْ

أصوات : ألقوا السّلاحْ ألقوا السّلاحْ

واستـسلمـوا قبل الكفاحْ

ألقو السّلاحْ

(تدخل جنودُ كسرى)

النّعمان : كلابَ الفرس أكثرتُم نباحاً

أمامَكمُ أسودٌ لا تضامُ

الجنود : مكانكمو

العرب : خسئتم

الجنود : استعدّوا (يتبارزون ويقع النّعمان)

النّعمان : على الدّنيا وأهليها السّلامُ

(النّعمان يسلم الرُّوح)

الطُميح : يا جندُ سِيروا واجلبوا الحرقاءَ

الجنود : أمرَ القائدِ (يخرجون)

الطُميح لنفسه: ستصير زوجَ المَلْكِ رغم مُكابرٍ ومُعاندِ

(يدنو من جثث القتلى)

الطُميح :

نعمانُ ما أغناكَ عن   هذا المصيرِ القاهرِ

فوق الحصا والرّملِ لا   فوقَ الحريرِ الفاخرِ

(يلتفت فيرى جندياً قادماً)

الطُميح : مَنْ قادمٌ ؟

الجندي : مولاي

الطُميح : قُلْ لي ما جرَى؟ هل مِنْ خَطَرْ ؟

الجندي : كلاّ ! ولكنْ لم نَرَ الحرقاءَ

الطُميح : ما هذا الخبرْ !؟!

(منهمكاً) : فرَّتْ؟ ولكنْ ليس مِن بطشي ولا عزمي مَفَرْ

ألا فاخبر الأعراب أن يتّقوا الأذى

وأن يعلموا مِنْ أمرِنا ما توقّعا

فَمن يُجِر الحرقاءَ نقتله عَنوةً

ونتركْ ربوعَ الدّار للوحشِ مَرْتعا

فَسِرْ لا تقفْ

الجندي : أمرُ الهمام مُنفَّذٌ

أَسيرُ به نحو الأعاربِ مُسرعا

هو ذا عِصامٌ قد دنا

الطُميح : ولدي الجسور ؟

الجندي : بنفسِه (يخرج الجندي)

الطُميح (لنفسه):شابٌ له خُلْقُ الهزبر ببطشه وببأسهِ

(يدخل عصام)

عصام : أبتاه ما فعلتْ يداكَ وما جنيتَ على العَرَبْ

قلَّدتنا بالعار يا مثَلَ الخنا

الطُميح : يا للعجبْ

إنِّي أراكَ مكلِّمي في لهجةٍ ملئتْ أدبْ

عصام : أتعجباً يا وَصْمَةَ الأخلاق في وجه الحِقَبْ

انظر إلى هذي الدّماءِ

الطُميح : لقد أثرتَ بي الغضبْ

عصام (يتمُّ) : فكأنَّ فيها ألسناً

تشكو الأذى تشكو الحَرَبْ

فاسمع إليها إنّها

في الصمت أنطق مَنْ خَطَبْ

أنساكَ كسرى حبَّ قومِكَ

بالمراتب والذهبْ
فأتيتَ تبطِشُ فيهم
فَهَنَاكَ كان لكَ الغلَبْ
ما يفعلُ النّفرُ القليلُ
أمام فيلقِكَ اللّجِبْ ؟
الطُميح : أخطأتَ ظنَّكَ في أبيكَ
وداخلتْكَ به الرِّيَبْ
ولدي لقد عاهدتُ كسرى
أن أقومَ بما طلَبْ
أقسمتُ أن أحمي حمَى
ملِكي وجئتُ بما وَجَبْ
عصام : وأنا لقد عاهدتُ نفسي
أن أكونَ فِدا العَرَبْ
فمِن الخنا إنْ لم أدافع
عنهمو كفَّ النُوَبْ
أبي علّمتني حِفظَ الولاءِ
أبي أرضعتَني لبنَ الإباءِ
أبي شيّدتَ بي صرحَ الوفاءِ
وهل ترضى له الهدَم الوبيلا ؟
الطُميح : عصامي هكذا تحيا الرجالُ
مثالاً للمروءةِ لا ينالُ

تموتُ ولم تَمتْ منهمْ خِلالُ

يُردَّد ذكرُها جيلاً فجيلا

وإنّي لستُ أحنث في يميني

وقد شدَّت عُرا قسمي يميني

فدافعْ ما استطعتَ عن العرينِ

فما في الموتِ ما يَصِمُ النبيلا

(يتبارزان)

عصام : طعنتَ حُشاشتي !!..

الطُميح : شُلّت يداي عصامي قُم !

عصام : لقد خارت قواي

الطُميح : ألا لله ما أحلى المنايا (يحاول أن يطعن نفسه)

عصام : أبي لا تظهر الجبنَ الوبيلا

أبي لا تبك ذا شأنُ الجبانِ

فكلٌّ مُعمَّرٍ لا شكَّ فانِ

فخيرُ الموتِ في يوم الرّهانِ

يَهزُّ المرءُ فيصلَهُ الصَّقيلا

(يقع عصام ميتاً)

الطُميح : عصامي! آهِ فارقني عصامُ !

(يَدخل بعض الجنود)

الجنود : سجوداً أيّها الجندُ الكرامُ

(يسجدون)

المنظر الثاني

(الحرقاء ومريم هائمتان في البراري)

الحرقاء : واذلَّ يعربَ أينَ السادةُ النجُبُ

وأينَ منهم أسُودُ الغاب إنْ غضبوا

وأين مجدُهم السّامي الذي رفعوا

وأين مُلكهم العالي الذي ضربوا

مضَوا ولم يبقَ منهم غيرُ زعنفةٍ

إنّ الزعانفَ لا تفنيهم الحِقَبُ

ويلاه ما عملي والهولُ يحدق بي

من كلِّ ناحيةٍ والويلُ والحَربُ

فالفرسُ ترصِدُ لي والعربُ توصِدُ لي

باباً أيمّمهُ مذ حُمَّت النُوَبُ

يا جارتي لم يَعُدْ في العيش لي أملٌ

والموتُ لي أرب يا حبّذا الأربُ

مريم : بالله لا تقنطي! صبراً !

الحرقاء : وهل أملٌ في ذي الحياة لنا نرجو ونرتقبُ

مريم : الله يرحمنا والله يحفظنا والله يُحصن يا حرقاء لا العربُ

(الحرقاء ترى الخيام): لمَن الخيامُ ؟

مريم : خيامُ بكرٍ كلّها

الحرقاء : أترى البنونَ تكون كالآباءِ ؟

قد كان (وائل) قبلهم (وكليبه)

أُسْدَ الشّرى وفوارسُ الهيجاءِ

لا يُسألُ الجاني إذا ما جارهم

لا يرجع العافي بلا إقراءِ

فإذا أُجِرنا قد أمنّا هولَ مَنْ

ساروا لخضبِ سيوفِهم بدماءِ

وإذا طُرِدنا والنّجاةُ تعذَّرتْ

فالخِنجرُ البتّار خيرُ دواءِ

(تشير إلى خنجر)

الحرقاء : نامتْ وطالَ هجوعُها وسُباتها

أممٌ تذلّ فحولُها وحماتُها

لانتْ على مرِّ الزمانِ قناتُها

والحرُّ يأبى أن تلينَ قناتُها

لم يبقَ للأعرابِ إلاّ بلقعٌ

نعقَتْ على عَرصاتِه حدآتها

فالمجدُ أقفرَ بعد زَهو رياضِهِ

والعزّةُ القعساءُ ماتَ هواتُها

والذلُّ خيّم والحميّةُ بُدّدَتْ

والعربُ أمستْ هجّعاً ساداتُها

(تجهش بالبكاء)

مريم : كفكفي دمعكِ فالدّمعُ الشّديدُ . لا يفيدُ

بل يميت القلبَ في هذي اللُّجَجْ

فاصبري فالصّبرُ مِفتاحُ الفَرَجْ

الحرقاء : إنّما قد بلغَ السّيل الرّبا . والزُبى

(تظهر صفيّة حجيجةُ العرب)

صفيه (لنفسها): ما الذي أسمعُهُ؟ ماذا أرى . يا ترى ؟

ابنةٌ تشكو ! وأخرى في انتحابْ

ما الذي ألقاهما فوقَ العذابْ ؟!

عن قريبٍ أعلمُ الأمرَ الغريبْ . عن قريبْ

(تدنو منهما)

صفية : ألا يا جارتَيْ أريافِ بكرٍ

علامَ تشكيان وتبكيانِ

الحرقاء : على قومِ جهابذةٍ عظامِ

خناديقَ ومفخرةِ الزّمانِ

على قومٍ لقد تركوا أناساً

رضَوا بالعار فيهم والهوانِ

على قومٍ أباةِ الضّيم ولّوا

وكانوا الأُسدَ في يوم الرّهانِ

صفية : فمَن تعنين يا هذي ؟

الحرقاء (لمريم) : أجيبي أراني لا يطاوعني لساني

مريم : لقد قَتَلَ الطُميحُ وجندُ كسرى

أبا قابوسَ صَيّانَ الكيانِ

صفية : ألا يا ويلَ أقوامٍ لئامٍ

تهدُّ بكفِّها صرحَ الأماني

مريم (تتمّ) : وذي الحرقاءُ

صفية : اَلحَرقاءُ ؟!

مريم (تتمّ) : ضَلَّتْ ولم تعثرْ على دار الأمانِ

صفية : وأين العُرْبُ ؟

مريم : قد جَبنُوا جميعاً

صفية : وهل في العُرب من جِبْسٍ جبانِ ؟

مريم : لَعَمرُكِ لم يَلِنْ قلبٌ إلينا

ولم يعطفْ على ضعفِ الغواني

وها إنّا نَهيمُ بكلِّ قَفْرٍ

هُيامَ النِّكسِ في لَيلِ العَوانِ

ألا تدرين ذلك ؟

صفية ! لا وربّي

مريم (إلى الحرقاء): رسولُ الفرس ضلَّ عن المكانِ

(مريم تخبر صفية بالأمر)

مريم : يسيرُ رسولُ الفرسِ في كلِّ مَوضعٍ

تقيم به الأعرابُ وهو يَقولُ

فمن يُجِر الحرقاءَ نقْتله عَنوةً

صفية : ليهنكِ بكرٌ باعُها لطويلُ

فإنْ هي جارَت هالكاً إنّ جارَها

«عزيزٌ وجار الأكثرين ذليلُ»

«لنا جَبَلٌ يحتلُّه من يجيرُه

منيعٌ يردُّ الطرفَ وهو كليلُ»

فلا تجزعي

الحرقاء ومريم : فبكرٌ كريمةٌ بها هِممٌ معروفةٌ وفحولُ

(صفيّة تنظر إلى الأمام فترى هاني بن مسعود)

صفية : هاني ابنُ مسعودٍ دنا

مريم : هيَّا بنا للقائِهِ

(يظهر هاني بن مسعود)

هاني بن مسعود : يا جارةَ العرْبِ الكرامِ تحيّةً

الحرقاء : وإليكَ يا عَضُدَ المُجار تحيّه

هاني بن مسعود: هل تعلمين أيا صفيّةُ مَن أتى ؟

صفيه : كلا !

هاني بن مسعود : رسولُ الأمّة العَجميّه

صفيه : ومتى أتى ؟

هاني بن مسعود : بالأمس

الحرقاء : تلك بليّةٌ طرقَتْ سبيلي

هاني بن مسعود :ما هناك بليّه !

صفيّة : ماذا فعلتَ فهل أهالكَ أمرُهُ فوعدتَهُ ...

هاني (مقاطعاً الحديث): هل تجهلين صفيّه !

هل تجحدين شهامةً أوتيتُها

وورثتُها عن أمّةٍ عربيِّه

ومتى رعاكِ اللهُ دانَ لجائرٍ

مَن كان أكثرَ أنْفةً وحميَّه

فرددتُهُ

صفيّه : لكنّ بكراً ما لها حولٌ لدفع الفرس عن أمنيَّه

هاني بن مسعود: إنّي بعثتُ لحيّ تغلبَ صارخاً بالأمسِ

صفيّه : هذي حكمةٌ ورويّه

هاني بن مسعود: ألا يا ابنة النّعمان إنّا لعصبةٌ

ندافعُ حتّى ليس في الكفّ أبترُ

فإن مزَّقَ الأعجامُ منّا جموعَنا

الحرقاء : فإنَّ مماتَ الحرِّ في النّقعِ أجدرُ

(أصواتُ طبول)

هاني بن مسعود: اسمعي صوتَ الطّبولِ

وانظري جمعَ الخيولِ

أقبلتْ تعدو إلينا

الحرقاء : مَن عليها من فحولِ ؟

هاني : تغلبٌ

الحرقاء :

أنعم بقومٍ مِن فروعٍ وأصولِ

قد دَنَتْ منّا رجالُ الفخرِ والمجدِ الأثيل

(يدخلون برئاسة ابن حداجة)

ابن حداجة : ألا يا بكرُ جئناكم سراعاً

هاني بن مسعود: فأهلاً فيكمُ يا قوم أهلا

فيا بنَ حداجةٍ فرّجتَ كربي

ويا بن حداجةٍ أحسنتَ فعلا

ابن حداجة : أتيناكم بعزمٍ تَغلبيٍّ

نُلبّي أمرَكم شاباً وكهلا

هاني :

فما في تغلبٍ إلاّ نفوسٌ

لها في العزّةِ القِدْحُ المعلَّى

أسودٌ ليس تنكرها الأعادي

إذا ما الهولُ في الهيجاءِ جلاّ

تقود الخيلَ للهيجا حفاةً

وتحذوها من الأشلاءِ نَعلا

ابن حداجة : أتدعو بكرُ جارتَها وتأبى ؟

لعَمري ذاكَ لم تعرفْه أصلا !

دعتْ بكرٌ فلبّتها بعزمٍ

يَفَلُّ الصّخرَ والصَّوّانَ فلاّ

(قرع طبول)

(أصوات تتعالى): بدِّدوا شملَ الأعادي

بالسّيوفِ الباتِرَهْ

واجعلوا مجدَ البِلادِ

كالسّنين الغابِرَهْ

ابن حداجة : يا هانِ إنّا إنْ بَقينا

سوف تقهُرنا العَجَمْ

إنّ الشّجاعةَ دون

موقعها جنونٌ مُدلهمّ

فَلْنَنزحَنَّ ونكمننَّ

بطَودِ ذي قار الأشمّ

فإذا غدوا بالوادِ قُل   شملُ اللّئام قد انفَصَمْ

هاني :

هذي لعَمْري خطةٌ   ما مثلُها أبداً رُسِمْ

(يرفع سيفه ويقول): إلى ذي قارَ يا أُسْدَ البِطاحْ

ففي ذي قارَ شاراتُ النجاحْ

فإنّ البيضَ مع سُمْر الرماحْ

تخطُّ الفوزَ والنّصرَ المبينا

أما والله إنّا لا نعودُ

إذا لم تُفْنَ في الحربِ القرودُ

فما فينا إذا سِرنا شَرودُ

يهابُ الموتَ كلاّ ليس فينا

(يخرجون عدا الحرقاء وصفيّة ومريم)

الحرقاء : إلهي هَبْ إلى الأعرابِ نصرا

وبدِّد عنهمو طغيانَ كسرى

إلهي أنت بالأعجام أدرَى

فلا ترفعْ عمادَ الظّالمينا

(تركع)

المنظر الثالث
(ذي قار)

الحرقاء، مريم، صفيّه، يشاهدن المعركة

صفيّة : ويلاه مِنْ ذاكَ الخميسِ إذا تهيّأ واقتحَمْ

حرقاءُ هلا تنظرين إليه

الحرقاء : كالبحرِ الخِضَمْ

ها قد دنا يجتازُ بطنَ الوادِ

صفيّة : ذا سيلُ العَرِمْ

والفيلُ يمشي في طليعته الوئيدَ المنتظَمْ

حرقاء قد حَلّ العدوُّ ببطنِ ذي قارَ الأشمْ

وأحاطت الأعرابُ بالأعجام من كلِّ القِمَمْ

هاني بنُ مسعودٍ يصولُ

الحرقاء : كذا يصولُ المنتقِمْ

وبقربها ابنُ حداجةٍ

بالطّعن كالفرد العلم

صفيّه: حرقاءُ! إن الفيلَ يبطشُ

بطشَ ذئبٍ بالغنَمْ !!!

الحرقاء : ويلاه ! إنّ العربَ قد ...

خارتْ.. قُواهم.. والهِمَمْ ...

يتراجعونَ إلى العلا ...

صفيّة : ربّاه!. شَمْلُهم.. انفَصَمْ ..

ماذا أرى ؟!!

(**الحرقاء تنظر إلى الأمام**) نجدةٌ للفرس قادمةٌ

صفية : قد تَمّ نصرُهُم !!

مريم : سُحقاً لأوغادِ

الحرقاء : والعربُ قد هلكتْ

صفية

: الموت أجدرُ بي (ترفع مِدية لتطعن نفسها)

الحرقاء : والموتُ أحفظُ لي من بطش حُسّادي

(ترفع مديتها)

مريم : مهلاً أيا حرقاءُ مهلاً أيا صفيّه

ذي نَجدةٌ عرباءُ ليستْ بفارسيَّهْ !!!

(**الجميع بسكون**) : ذي نجدة عرباءُ ليست بفارسيَّهْ !!!

مريم : لقد أتتْ طودَ ذي قارٍ على قَدرِ

كما أتى ربَّه موسى إلى الوادي

صفيّة : لقد شدّتْ بها الأعرابُ أزرا

وعادوا يطلبون النَّصر قَسْرا

الحرقاء : أحاطوا بالعدا من كلِّ صَوْبٍ

كبازٍ رامَ بالمكّاء شرّا

وكرّوا

صفيّة : في طليعتهم هُمامٌ

مريم : غريبٌ ما عرفنا عنه أمرا

يشقُّ برمحِهِ درباً ويجري

ويرمي حوله عَشراً فعشرا

صفيّة : لعَمْري إنّه فخرٌ لقومٍ

إذا ما لم تحُز من قبلُ فخرا

يكرُّ عليهم ليثاً هِزَبرا

الحرقاء : ويرجع عنهم ليثاً هِزَبرا

لقد ألقى الطُميحَ

مريم : أجل رماه وأرسل فوقَه الطّعناتِ تَترَى

صفيّة : وتحذو حَذْوه الأعرابُ

الحرقاء : ها قد تضعضعَ يا صفيّةُ جيشُ كسرى

فإنّ البعضَ أشلاءً ترامى

صفيّة : وإنّ البعضَ يا حرقاءُ فرّا

خلا ذي قارَ إلاّ مِنْ أسودٍ

تزيد العربَ إجلالاً وقدرا

الحرقاء : إلهي كنتَ للأعراب عوناً

فشكراً مبدعَ الأكوانِ شكرا

صفية : لقد عادوا وللرّاياتِ خفقٌ

تَودّ على ذرا العيّوق نَشْرا

(تدخل العربُ حاملين الرّايات)

(بعض الشّباب): اليومَ يومُ الشُّرب يا

إخوانُ ما أحلى الظَفَرْ

فَلْنرشف الخمرَ العَتيقَ

إلى المساءِ إلى السَحَرْ

هاني بن مسعود: كذا فليبدَّد شملُ مَنْ رام قهرنا

ومَنْ رام قهرَ العرب فالله قاهرُهْ

صفية : فإنَّ الكريمَ الحرَّ إن سلَّ سيفَهُ

لدفع الأذى فاللهُ يا هانِ ناصرُه

يا هانِ أينَ الهمامُ الفارسُ البَطَلُ ؟

هاني : أين الهمامُ ؟

بن حداجه : ففيه جُدِّد الأملُ

صفية : لولاه ما رُفِعَتْ للعرب رايتُها

هاني : لولاه تمّ إلى الأعجام ما سألوا

الحرقاء : تراه هل قتلوه ؟!

هاني : ربّما !

ابن حداجه : أسفاً !

الحرقاء لنفسها : لعلَّه !!

مريم : ويلَ جيشِ الفرسِ مَنْ قتلوا !

(يدخل رجلٌ مقنَّع)

المقنّع : سلاماً يا بني العُرْبِ الغزاةِ

الجميع : سلامُ الله يا ليثَ الكماةِ

بن حداجه : أحيٌّ أنت!

الجميع : بشرانا جميعاً

الحرقاء : أمِط بالله !!

المقنّع : طوعاً للفتاة (يرفع القناع)

الحرقاء : المنذرُ بنُ الريَّان

الجميع : المنذرُ بن الريَّان

الحرقاء : أفي حلمٍ أنا ؟

مريم : حرقاء صمتاً فلا تفشي من الحبّ الكمينا

المنذر : أيا حرقاءُ هذا ثأرُ عَمّي

الجميع : إليك الشكرَ منّا أجمعينا

ابن مسعود : ألا يا قومُ ملْكُ العُرب هذا (يشير إلى المنذر)

الجميع : رَضينا وهو خيرُ المالكينا

هاني بن مسعود : وذي الحرقاء زوجُ الملك

المنذر : إنّي قبلتُ بها (يخاطبها) فهلاّ تقبلينا

الحرقاء : بروحي مالكي !

صفيّة : انقادت إليه

مريم (لنفسها) : قد انقادا لبعضهما سنينا

(الجميع ينشدون):

نلنا المُنى بعد العنا بالسّيفِ والرّمحِ السّنين

فَلْنخذل الحسّادَ وَلْنخسف عمادَ الظّالمين

وليبقَ مجدُ العربِ طول الدَّهر وضّاءَ الجبين

(السّتار)